

جامعة الأزهر

كلية اللغة العربية بأسسوط

المجلة العلمية

أسطورة أوديب في المسرح اليوناني والمصري:

سوفوكليس ، وتوفيق الحكيم أنموذجاً

*The Legend of Oedipus in Greek and Egyptian
Theater: A Model of Sophocles and Tawfiq Al-
Hakim*

إعداد

د. نوال بنت سليمان بن دخیل الشمري

أستاذ الأدب والنقد المساعد- قسم الدراسات الإنسانية، الكلية الجامعية

بالنعيرية، جامعة حفر الباطن، (UHB)، النعيرية 31981، المملكة العربية

السعودية

(العدد الرابع والأربعون)

(الإصدار الأول-مايو)

(الجزء الثاني) (٥١٤٤٦هـ / ٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٥/٦٢٧١م

أسطورة أوديب في المسرح اليوناني والمصري: سوفوكليس، وتوفيق الحكيم أنموذجاً

نوال بنت سليمان بن دخيل الشمري

أستاذ الأدب والنقد المساعد - قسم الدراسات الإنسانية، الكلية الجامعية بالنعيرية،
جامعة حفر الباطن، (UHB)، النعيرية 31981، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : nsshammeri@uhb.edu.sa

الملخص

هذا البحث عنوانه (أسطورة أوديب في المسرح اليوناني، والمصري: سوفوكليس، وتوفيق الحكيم أنموذجاً) يدور حول تأثير أسطورة (أوديب) الإغريقية في الأدب العالمي، واتخاذ الأدباء هذه الأسطورة وسيلة للتعبير عن مكنوناتهم، وأفكارهم، وقضايا عصرهم من خلال القضية الأزلية التي تركز عليها هذه الأسطورة وهو الصراع بين الخير والشر، وعليه سيقوم هذا البحث بدراسة هذه الأسطورة في أصلها الإغريقي عند سوفوكليس وتأثيرها في الأدب العربي مقتصرة على مسرحية الملك أوديب لتوفيق الحكيم كنموذج للمسرح العربي الحديث.

وسار البحث على (المنهج المقارن) في تحليل أوجه التشابه والاختلاف في تناول كلا الأدبيين للأحداث الرئيسية، والشخصيات، والعقدة والحل، وما أضافه توفيق الحكيم على النص الأصلي من إبداع يتناسب مع الثقافة العربية. قسمت البحث إلى تمهيد وأربعة مباحث؛ التمهيد: التعريف بأسطورة أوديب، والمبحث الأول: الأسطورة في الأدب العالمي والعربي، والمبحث الثاني: أسطورة أوديب في أصلها الإغريقي عند سوفوكليس، والمبحث الثالث: أوديب في الأدب العربي عند توفيق الحكيم، والمبحث الرابع: أوجه التشابه، والاختلاف بين أوديب سوفوكليس، وتوفيق الحكيم.

الكلمات المفتاحية: أسطورة، أوديب، المسرح، الغربي، العربي، سوفوكليس، توفيق الحكيم.

The Legend of Oedipus in Greek and Egyptian Theater: A Model of Sophocles and Tawfiq Al-Hakim

Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Humanities, University College of Nairyah, University of Hafr Al-Batin (UHB), Nairyah 31981, Kingdom of Saudi Arabia

Email: nsshammeri@uhb.edu.sa

Abstract:

This research is titled "The Legend of Oedipus in Greek and Egyptian Theater: A Model of Sophocles and Tawfiq Al-Hakim" and revolves around the impact of the Greek myth of Oedipus on world literature. It explores how writers have utilized this myth as a means to express their innermost feelings, thoughts, and the issues of their time through the eternal conflict central to this myth, which is the struggle between good and evil. Consequently, this research will study this myth in its Greek origin as presented by Sophocles and its influence on Arabic literature, focusing specifically on Tawfiq Al-Hakim's play "King Oedipus" as a model of modern Arab theater.

The research adopts a comparative approach to analyze the similarities and differences in how both literatures treat the main events, characters, conflict, and resolution, as well as what Tawfiq Al-Hakim has creatively added to the original text in a way that aligns with Arab culture. The research is divided into an introduction and four sections: the introduction provides a definition of the Oedipus myth; the first section discusses the myth in world and Arabic literature; the second section explores the Oedipus myth in its Greek origin according to Sophocles; the third section examines Oedipus in Arabic literature according to Tawfiq Al-Hakim; and the fourth section outlines the similarities and differences between Sophocles' Oedipus and that of Tawfiq Al-Hakim.

Keywords: Myth , Oedipus , Theater , Western , Arabic , Sophocles , Tawfiq Al-Hakim.

مقدمة

الحمد لله منزل القرآن بأفصح بيان، ومسير أهل العلم يوم القيامة إلى أعلى الجنان، والصلاة والسلام على خير من خلقه رب الأكوان، محمد بن عبد الله الهادي إلى سبل المعرفة والعلم والإيمان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

تُعد أسطورة (أوديب) واحدة من أشهر الأساطير الإغريقية، التي حظيت بمكانة بارزة في الأدب العالمي، تعود شهرتها في المقام الأول إلى مسرحية المؤلف المسرحي الإغريقي سوفوكليس في مسرحية (أوديب ملكا) حيث تدور أحداثها حول أسطورة قديمة، تجسد عدداً من القضايا الإنسانية حول القدر، والآلهة، والإرادة، والصراع بين الإنسان والآلهة، وبين الخير، والشر، والصراع بين القلب، والعقل.

والأدباء اتخذوا من هذه الأسطورة منفذاً للتعبير عن أفكارهم، ومشاكل عصرهم وقضاياهم، وذلك بوصفها ميراثاً قديماً، ومصدراً مهماً لجميع العلوم الإنسانية.

ولهذا سيقوم هذا البحث بدراسة هذه الأسطورة في أصلها الإغريقي عند سوفوكليس، وتأثيرها في الأدب العربي مقتصرة على مسرحية الملك أوديب لتوفيق الحكيم كنموذج للمسرح العربي الحديث.

أهمية البحث.

تكمن أهمية البحث في أن المسرح أداة من أدوات الإبداع الفني، ومرآة تعكس ملامح المجتمع وتشكيل الوعي الثقافي لدى المتلقي، فضلاً عن دوره في معالجة الكثير من القضايا والمشكلات الإنسانية عامة، والمجتمعية خاصة.

فالفن المسرحي فن إبداعي راقٍ يهدف للترفيه والتسلية من جهة، وتحفيز النفوس وإيقاظها، وتقويم السلوك من جهة أخرى. ومسرحية (أوديب ملكا) من المسرحيات الإبداعية التي حملت بين طياتها قضية من القضايا الأزلية الممتدة عبر مراحل التاريخ حتى وقتنا الحاضر، وهي قضية الصراع بين الخير، والشر.

ومن خلال تحليل هذه الأسطورة نحاول الكشف عن كيفية تناول (الكتاب سوفكليس - وتوفيق الحكيم) تلك المأساة.

أهداف البحث.

يهدف البحث إلى توضيح أثر الأساطير الإغريقية في الأدب العالمي، وتأثر الأدبي العربي خاصة بتلك الأساطير، وبالتراث الإغريقي عامة، وذلك من خلال دراسة مسرحية (أوديب ملكا) للشاعر سوفكليس، وبيان أوجه تأثر الأديب العربي (توفيق الحكيم) بتلك المسرحية، وما أضافه الحكيم من إبداع عليها، مما جعلها أقرب للواقع من كونها أسطورة.

منهج البحث.

اعتمد البحث على (المنهج المقارن) في تناول كلا الأديبين للأحداث الرئيسية، والشخصيات، والعقدة والحل، وما أضافه توفيق الحكيم للنص على النص الأصلي من إبداع يتناسب مع الثقافة العربية.

الدراسات السابقة.

١- التوظيف الفني للأسطورة شخصيات مسرحية أوديب لتوفيق الحكيم وعلي أحمد باكثير، للباحثة: منى عبد العظيم أحمد طه، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بقنا، عدد (٥٤)، الجزء الثاني، يناير ٢٠٢٢ م.

٢- استلهم قضايا الموت والحياة عند الإغريق وتوظيفها في المسرح العربي، مسرحية أوديب لتوفيق الحكيم أنموذجا، للباحثة غفار محمد، مقال علمي منشور مخبر الفنون والدراسات الثقافية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، مجلد (٥)، عدد (٣)، ٢٠٢٠ م.

٣- تلقي أوديب في المسرح العربي الحديث توفيق الحكيم وعلي أحمد باكثير نموذجين، للباحثتين مريم هجيرة، وهاجر باري، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي

مرباح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٩ / ٢٠٢٠ م.

خطة البحث.

تم تقسيم البحث إلى تمهيد وأربعة مباحث هي:

التمهيد: أسطورة أوديب.

المبحث الأول: الأسطورة في الأدب العالمي والعربي.

المبحث الثاني: ملخص أسطورة أوديب في أصلها الإغريقي عند سوفوكليس.

المبحث الثالث: ملخص مسرحية أوديب في الأدب العربي عند توفيق الحكيم.

المبحث الرابع: أوجه التشابه، والاختلاف بين أوديب سوفوكليس، وتوفيق الحكيم.

التمهيد

أسطورة أوديب.

- مفهوم الأسطورة في اللغة والاصطلاح:

جاءت الأسطورة في اللغة من الفعل (سَطَرَ)، بمعنى (كتب) ومنه السطر، وهو الخط أو الكتابة، وتجمع على أساطير. والأساطير: الأباطيل، وقيل: هي أحاديث لا نظام لها. ويقال سَطَرَ فلان علينا يُسَطِّرُ: أي جاء بأحاديث تشبه الباطل. ويقال: هو يُسَطِّرُ ما لا أصل له، أي: أنه يُولِّفُ أشياء لا أصل لها.^(١)

أما في الاصطلاح نجد بعض الدراسات الحديثة جاءت موافقة لما ورد في كتب اللغة عن الأسطورة، فنجد الحاج حسن يعرفها فيقول: (تعني الأسطورة الحادثة القديمة المحفوفة بالمبالغات حتّى الخرافات أحياناً، وتفيد أيضاً الأقاويل المنمقة المزخرفة التي لا نظام لها، حتّى تشبه الكلام الباطل).^(٢)

ومنهم من يرى أنها تعني "حكاية تعيش منذ القدم في تقاليد قبيلة أو جنس أو أمة، يتوارثها خلف عن سلف، وتدور حول: الآلهة، أو أنصاف الآلهة، والأحداث الخارقة، وتختلف عن الملاحم التي تسجل أفعالاً إنسانية، وعن الحكايات الخرافية التي ابتكرت لأغراض التعليم، والتسلية".^(٣) والأسطورة تنتهي إلى أشكال الحضارة

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط ٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ) ج ٤، ٣٦٣، والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط ٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م) ص ٤٠٧.

(٢) حسين الحاج حسن، الأسطورة عند العرب في الجاهلية، ط ١، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٨م) ص ١٦.

(٣) مصطفى عبد الله، أسطورة أوديب في المسرح المعاصر، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م)، ص ٩.

القديمة، وترجع إلى مرحلة سابقة على العلم، والفلسفة؛ فهي تفسر بمنطق العقل البدائي ظواهر الكون، والطبيعة والإنسان^(١).

والأساطير كثيرة ولكنني خصصت في هذا البحث (أسطورة أوديب) والتي تحكي أنّ ملكاً لطيبية يدعى (لايوس) كان قد طرد من مملكته إلى مملكة أخرى، حيث أكرمه ملكها، ولكن (لايوس) لم يحفظ له هذا الجميل، واختطف ابنه، فاستطاع (لايوس) أن يستعيد ملكه وأن يتزوج أميرة، وهي: (جو كاستا) ولكن الآلهة لم تغفر له هذا الجرم وصممت على إنزال العقاب به، فحذره (أبوللو) من أن اللعنة ستحل به، وأن ابنه من (جوكاستا) سوف يقتله، ويتزوج أمه، وعندما رُزق (لايوس) بابنه (أوديب) أحس الخطر المحدق به فصمم على التخلص منه، وسلّمه لراعٍ عجوز وأمره أن يقتله ليتاح له بذلك التغلب على ما دبرته الآلهة له من عقاب، وكانت الآلهة بعلم على ما يدبره (لايوس) فتدخلت للمحافظة على حياة الطفل، وتم لها ما أرادت، إذ تركه الراعي على قمة جبل بعد أن قيده من رجليه وعلقه على شجرة، فينقذ هذا الطفل راعٍ آخر من مدينة أخرى، ويحمله إلى ملكه ومملكته اللذان لم ينجبا أطفالاً فاتخاذاه ولداً لهما، وكان هذا الملك هو (بوليب) ملك كورنث، وقد أطلق على الطفل اسم (أوديب) وهي كلمة يونانية تعني متورم القدمين، ويكبر أوديب معتقداً أن الملك والملكة والداه دون أن يدري شيئاً عن حقيقة أصله، ويستمر على هذا النحو إلى أن يحدث في يوم من الأيام أن يُعيّره أحد أصدقائه وهو سكران بأنه ليس ابناً للملك وإنما هو لقيط عثر عليه أحد الرعاة، فيذهب (أوديب) إلى معبد (أبولون) ليستلهم الآلهة حقيقة نسبه، فتخبره الآلهة بشيء عن سؤاله الأصلي، وهو أنه سيقتل أباه ويتزوج والدته فيعتقد بأن المقصود بذلك والداه الذي يعيش معهما، فيهرب من هذه المدينة حتى ينجو من هذا المصير، وبينما هو في طريقه تقبل نحوه عربة يركبها سيد كبير

(١) انظر: السابق نفسه.

السن ويحيط به بعض الخدم ويسر أمامه، ويتصادف أن يطلب هذا الرجل من أوديب أن يفسح الطريق للعربة، ويظهر أن لهجة الحارس لم تعجب أوديب الذي اشتبك معه في معركة، ومع بقية الحراس كان نتیجتها أن قتلهم جميعاً بما فيهم السيد العجوز إلا واحداً عاد مسرعاً إلى مدينته يحمل خبر مقتل ملكهم، وتشاء إرادة الآلهة أن يكون راكب العربة هو الملك (لايوس) ملك طيبة ووالد أوديب الأصلي، وينسى أوديب هذه الحادثة، وفي مواصلته لطريقه إلى طيبة يجد الناس في فزع، وخوف، فهناك حيوان غريب يشبه أبا الهول، له رأس امرأة ضخمة وجسم أسد، ويجلس على الصخرة خارج المدينة يعترض الناس ويلقي على كل منهم لغزاً، من استطاع الإجابة عنه تركه يدخل المدينة في سلام، ومن عجز عن حله قتله، وقد عاش أهل طيبة في فزع فترة من الزمن، وتشاء الآلهة أن يلقي أوديب ذلك الوحش ويلقي عليه اللغز الذي اعتاد إلقاءه على غيره من الناس وهو : ما هو الحيوان الذي يسير في الصباح على أربع، وفي الظهر على اثنين، وفي المساء على ثلاث؟ أجاب أوديب بأنه (الإنسان) عندما يولد يحبو على يديه ورجليه، فإذا ما كبر، واشتد عوده مشى على رجله، حتى إذا شاخ، وضعف احتاج إلى أن يستعين بعصا على السير، وكان أوديب أول من فطن إلى هذه الإجابة الصحيحة مما حدا بالوحش الذي بلغ منه الغيظ ما بلغ أن يلقي نفسه من أعلى الصخرة فيموت.

وقد تلقى أهل طيبة نبأ مقتل ملكهم في الوقت الذي تلقوا فيه نبأ مقتل الوحش بيدي أوديب، وفي غمرة الفرح بزوال هذا الخطر الذي كان يهدد حياتهم يعرض (كريون) أخو الملكة (جوكاستا) على أوديب أن يلي عرش طيبة مكافأة له على عمله المجيد، كما يعرض عليه أن يتزوج جوكاستا الملكة السابقة، ويعيش أوديب مع الملكة دون أن يعلم بأنها أمه ودون أن تعرف بأنه ابنها، فتنجب منه أربعة أطفال، ولكن هذه السعادة لم تدم طويلاً، فقد نزل بالمدينة خطر جديد، ففرع أهلها إلى ملكهم يلتمسون الخلاص على يديه، ذلك أن مرضاً خطيراً وهو (الطاعون)

أخذ ينتشر بين أهلها بحيث قضى على حياة كثير من أبنائها، ولم يدخر أوديب وسعاً في سبيل تخليص قومه مما ألمَّ بهم، فأوفد كبير الكهنة إلى معبد (أبولون) يسأل الآلهة الخلاص من هذا الخطب ولكنه يعود بنبوءة غريبة، وهي: إن هذا المرض نزل بهم عقاب من الآلهة حتى يعاقب قاتل (لايوس) فيقوم أوديب بالبحث عن ذلك القاتل محاولاً بكل ما يملك من عزم، وتصميم جمع الأدلة الموصلة لذلك القاتل لإيقاع العقاب عليه، فتتجمع خيوط المأساة شيئاً فشيئاً؛ لتضغط على رقبة أوديب بوصفه الشخص الذي قتل (لايوس)، حتى ينتهي الأمر باكتشاف حقيقة أصله وأنه ابن لايوس راكب العربة الذي قتله، فيشل عقله وتَسَوَّد الدنيا بعينه، فقد تحققت النبوءة التي فر هرباً منها، فقتل أباه، وتزوج من أمه، فلم يستطع تحمل ذلك العار ففقاً عينيه، وعزل نفسه، ثم يخرج هارباً إلى حيث لا يعرف عاره أحد، أما جوكاستا فقد شنقت نفسها من هول المفاجعة. ^(١)

(١) إبراهيم عبد الرحمن محمد، لأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، (بيروت: دار العودة،

١٩٨٢)، ص ٣٠٢، ٣٠٥

المبحث الأول

الأسطورة في الأدب العالمي، والعربي.

أ. أسطورة أوديب عالمياً:

حظيت أسطورة أوديب بمكانة كبيرة لدى الأمم، والشعوب بمختلف العالم؛ إذ تُعدّ من أهم المآسي التي أخصبت الفكر الإنساني على مر العصور، ولقيت تجاوباً من جمهور القراء، ومن مشاهدي المسرح على السواء^(١)، ويرجع أصل هذه الأسطورة إلى أوديسة لهوميروس في نشيدها الحادي عشر^(٢)، فبعد أن يتكلم أوديسيوس مع شبح أمه وبعد أن حاول الإمساك به، وفشل في محاولاته نجده يلتقي بأشباح، أو أرواح أخرى لنساء كن بنات، وزوجات رؤساء، وأخذ أوديسيوس يكلمهن، ومن بين أولئك النسوة يقابل روح جو كاستا فيقول: "وأبصرت أم أوديسيوس، ابيكاستي الفاتنة، التي قامت بعمل وحشي في جهالة من التفكير إذ قد تزوجت ابنها ... بعد أن قتل أباه، فتزوجها، ولكن الآلهة كشفت هذه الأمور للبشر في الحال، ولكن مع ذلك فإن سيداً على الأدميين في طيبة الجميلة، ويعاني المحن بسبب خطط الآلهة الضارة، وأما هي فقد علقت أنشودة في قضيب عالي، وقد استبد بها هبطت إلى بيت هاديس، الحارس القوي، لقت الحزن، وشنقت نفسها، وخلفت وراءها محناً لا يسر لها، وكل ذلك تقوم به ربات الانتقام من أجل أم".^(٣)

(١) ألدريس نيكول، المسرحية العالمية، تر: عثمان نويه، ج ١ (القاهرة: المجلس الأعلى لرعاية

الفنون والآداب، ١٩٧٩م) ص ١٩٦.

(٢) أحمد شمس الدين الحجاجي، الأسطورة في المسرح المصري المعاصر، (القاهرة: دار المعارف،

١٩٨٤م) ص ٩٧، وانظر: كوليت استيه، أسطورة أوديب، ترجمة: زياد العوده، ط ٢ (دمشق:

الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٢م) ص ١٣.

(٣) مصطفى عبد الله، أسطورة أوديب في المسرح المعاصر، ص ١٦

فنرى أن الأوديسة قد اهتمت بأسطورة أوديب من جانب الأم أكثر اهتماماً من جانب أوديب، فهي تجرم الأم، أو تجعلها هي المجرمة التي تزوجت من ابنها، وليس الابن هو المجرم الذي تزوج من أمه، ثم نجد أن الأوديسة ذكرت لنا العقاب الذي نالته الأم، ولكن لم تشير إلى عقاب أوديب، ومصيره.

وقد تضاربت الآراء حول أصل هذه الأسطورة، فهناك رأي آخر في تأصيل أسطورة (أوديب) يذكره الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه: (قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر) حيث يقول: "غير أن هناك من الدارسين من يذهب بنا مذهب آخر في تحقيق نشأة هذه الأسطورة، ودخلها في مجموع الأساطير الإغريقية، وأعني بذلك ما كتبه كينو عن أدر هيرودت في شيوخ هذه القصة التي ترجع في الحقيقة إلى أصل فارسي، فهيردوت يحكي لنا على نحو ممتع تلك المواقع الحربية التي كانت بين الإغريق، والفرس في القرن السادس قبل الميلاد، وهو يقصد إلى تاريخها، وهذا التاريخ ينطوي على قصص رائعة، فهناك قصة تبلغ من الطول حداً لا يمكن معه حكايتها هنا، هي قصة ميلاد قورش، وهي باختصار الحكاية العامة عن الطفل النابه الذي سيولد، والذي سيصنع أشياء معينة ويحاول البعض منع الولادة أو قتل الطفل، وتفشل المحاولة، وتتحقق النبوءة على النحو المفزع، وأسطورة أوديب الملك التي ألفها صديقه سوفوكليس، فهي في جوهرها نفس القصة، ولكنها عند سوفوكليس تحمل مزيداً من الدلالة لا حد له"^(١).

ولكن هذا الاختلاف في أصل الأسطورة لا يقلل من الحقيقة المسلم بها وهي أنها سواء كانت فارسية، أم إغريقية هي تعبير صادق عن تحدي الآلهة، وإصرارها على إنزال العقاب بكل من يخالفها.

(١) عز الدين إسماعيل، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، ط١ (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٠م) ص ٦١.

وبالنظر إلى تاريخ اليونان نجد أن أثينا في القرن الخامس قبل المسيح بلغت عهد من الحياة الديمقراطية المتقفة، يسود فيها نوع من الدين الناشئ عن عقيدة، وتكثر فيها الأساطير الشعبية الغنية بالفكر، والخيال، فكانت العلاقة وثيقة بين الشعر، والدين، والفلسفة الذي تولد عنه بلوغ المأساة اليونانية مكانة رفيعة لم تشهدها من قبل^(١).

كما أن الشعراء الممثلون من اليونان يعتمدون في تمثيلهم بحكم الفن نفسه، وبحكم الدين أيضاً على الأساطير، فالأبطال القدماء هم موضوع المأساة اليونانية التي تصور حياتهم، ويرون في ذلك فناً، ويرونه ديناً، فضلاً عن أنهم يتخذون منه وسيلة للتقرب من الآلهة بدءاً من إنشاد الشعر القصصي، ومن ثم الغناء وانتهاء بالتمثيل، ومن أجل هذا كله تغيرت صور الفن الشعري عند اليونان، ولم يتغير موضوعه، فالأبطال، والآلهة هم موضوع القصص في الإلياذة، والأوديسة، وهم الموضوع الأساسي لتمثيل الممثلين أيضاً.

وكانوا يرون أنه من الطبيعي أن يعرضوا للموضوعات التي سبقهم إليها القصاص، والمغنون، فينشئوا فيها قصصهم التمثيلي فلا يجدون في ذلك حرجاً، بل يجدون فيه سبيلاً إلى الإجابة، والإتيقان^(٢)، فقصّة (أوديب) عرض لها الكثير من الشعراء اليونانيين أولهم إيسكولوس، ثم سوفوكليس، ثم عرض لها أوريبيد، وانتقلت من بعدهم لعدد من شعراء اليونان فلم يجدوا في ذلك حرجاً، فهذه السنة التي سنها اليونان قد انتقلت منهم إلى غيرهم من الأمم.

(١) انظر: محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، ط ١ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٤م) ص ٧٣.

(٢) انظر: طه حسين، الأدب التمثيلي، مقدمة أوديب ملكاً، (بيروت: منشورات دار الكتاب اللبناني، د.ت) مج ١٥، القسم الأول، ص ١٨، ١٩.

والرومان في العصر القديم حين حاولوا التمثيل اتخذوا من القصص اليونانية قالباً لمسرحياتهم، فنجد قصة أوديب مثلاً عرض لها الكثير، فسينيك عمد إلى إجراء بعض التغييرات على إيقاع الأحداث إذ أضاف إليها طابع العنف والقسوة، كما أنه غيّر في نهاية المسرحية؛ فقد جعل أوديب يفتق عينيه أولاً، ثم تنتحر جوكاستا بعد ذلك طعناً بدلاً من الشنق.

وبالنظر للعصر الحديث نجد اهتمام رواد المدارس الكلاسيكية بهذه الأسطورة إذ استعار شعراء التمثيل الإنجليز، والألمان، والإيطاليين، والفرنسيين خاصة موضوعات شعرهم التمثيلي من تمثيل اليونان، والرومان، فوضع (دريدن) أحد أبرز الشعراء الانجليز في القرن السابع عشر قصة أوديب، كما وضع الشاعر الإيطالي (الفبيري) في القرن الثامن عشر قصة أوديب أيضاً، أما الفرنسيون فقد فتن شعراؤهم، وكتابهم بقصة أوديب منذ أواخر القرن السادس عشر إلى الآن، ففي القرن العشرين غني بها الكاتب الفرنسي العظيم (أندريه جيد)، وكذلك الكاتب الشاعر (جان كوكتو)، غير أن الشعراء الفرنسيين حاولوا أن يلائموا بين القصة، وبين ذوق البيئة التي كانوا يعيشون فيها، ويكتبون لها، فمنهم من لاحظ أن تلك البيئة لا تتصور قصة تمثيلية خالية من الحب، وليس في قصة أوديب حب، أو شيء يشبه الحب فأضاف إليها هذا العنصر المفقود، والمحجب من الجمهور.^(١)

(١) انظر: طه حسين، أوديب ثيسيوس من أبطال الأساطير اليونانية (القاهرة: مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م)، ص ١٩، ٢٠.

كما يجدر بنا الإشارة إلى ما قاله أرسطو في كتابة (الشعر) حيث قال: إن مسرحية (الملك أوديب) هي مأساة نموذجية^(١)، ولعل أهم ما لفت أرسطو في هذه المأساة إظهارها المسرحي الذي يمتاز بالبساطة، والعظمة في الوقت نفسه، فقد بدأ الشاعر اليوناني مسرحيته من نهايتها بحيث جعل الصراع في ظاهره صراعاً لا بين أوديب، والآلهة، وإنما صراع بين الماضي، والحاضر ذلك الماضي الذي يتكشف لأوديب شيئاً فشيئاً كلما خطا في التحقيق خطوة جديدة.^(٢)

وكما ذكرنا سابقاً أن المسرحية نالت الكثير من الاهتمام في العصر الحديث على أيدي مثقفين أفذاذ من أمثال (سيغموند فرويد) الذي أثارت المسرحية فيه العديد من الأفكار المهمة إلى درجة أنها كانت وراء اكتشافه ما يسمى (بعقدة أوديب)، وما زالت المسرحية مثار إعجاب جمهور واسع من المشاهدين، والدارسين، كما تنطوي على العديد من الأفكار، والقضايا الفكرية، والفلسفية، فهي تبحث في الأخطار التي يواجهها المرء في رحلته الطويلة على طريق البحث عن الذات، وتبحث في مشاعر الذنب، والبراءة، وتكشف عن طبيعة القدر، ويقول النقاد أنه ليس من مسرحية أخرى درست بشكل أفضل العلاقة ما بين شخصية الفرد، وقدره، فحرص أوديب على البحث عن الذات، وثقته بنفسه التي لا تعرف الحدود، وسرعة غضبه كلها كانت خصائص تتميز بها شخصيته، وهي السبب وراء المواجهة مع قدره، وهي الحافز في تحقق النبوءات.^(٣)

(١) انظر: زياد الحكيم، الملك أوديب ورحلة البحث عن الذات (مقال منشور في موقع الأنطولوجيا الإلكترونية) بتاريخ ١٨ مايو ٢٠١٩ م، على الرابط التالي:

[/https://alantologia.com/blogs/18037](https://alantologia.com/blogs/18037)

(٢) إبراهيم عبد الرحمن محمد، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، ص ٣٠٦.

(٣) زياد الحكيم، الملك أوديب ورحلة البحث عن الذات.

ب. أسطورة أوديب عربياً:

نجد أن الأساطير قد دخلت إلى العالم العربي، وادمجت في الأشكال الأدبية المختلفة، وكان دخولها نتيجة حتمية لتطور الحياة الثقافية، والتوسع في الترجمة عن التراث الغربي، وخاصة في فن القص، والمسرح، غير أن الطرق والأساليب في توظيفها اختلفت بين الأدباء فكلّ كان له طريقته التي عبر من خلالها عن تجربته الشعورية، على الرغم من أن هذه الأساطير ليست من تراثنا لاسيما الأساطير الإغريقية، والرومانية والآشورية فضلاً عما تضمنته من طقوس دينية لا تتناسب مع ديننا الإسلامي، ومن وجهة نظري يكمن إبداع الأديب، وقدرته على تطويع تلك الأسطورة الغربية القديمة لتتلاءم مع تعاليم ديننا الإسلامي، وقيمنا، ومجتمعاتنا العربية، فكانت أسطورة أوديب من الأساطير التي حظيت بعناية خاصة عند الغرب، والعرب، إذ تلونت بألوان كل عصر، فصبغت بأفكاره، ومعتقداته، وعبرت عن قضاياها، مما جعلها عملاً خالداً على مر الأزمان.

أدخل العديد من الأدباء العرب (مسرحية أوديب) ضمن أعمالهم الأدبية؛ لأن بعضهم كان يرى أنه لابد من إدخال هذا الأسلوب الذي لم يعرفه الأدب العربي من قبل في عرض الأفكار عرضاً حياً، وهو الأسلوب المسرحي^(١)، وعلى هذا يرى توفيق الحكيم بضرورة العناية بهذا النوع من الأدب ونقله لأدبنا على الرغم من ارتباطه بالأساطير اليونانية، محاولاً اللحاق بركب الإبداع العالمي، ومعللاً ذلك برغبة الاعتراف من النبع، ومن ثم اساغته وهضمه وتمثيله، لإخراجه للناس مرة أخرى مصبوغاً بأفكارنا وقيمنا ومطبوعاً بعقائدنا^(٢).

(١) انظر: توفيق الحكيم، الملك أوديب، (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٤٩)، ص ٢٩، ٣٠.

(٢) السابق، ص ٣١.

وتوالت بعده العديد من الأعمال التي تدور حول أسطورة أوديب، فنرى طه حسين يقدم ترجمة لمسرحية أوديب لأندرية جيد، مما أدى إلى نوع من التآلف بين الجمهور العربي، وبين هذه الأسطورة التي مهدت لظهور عدد من المسرحيات التي تركز عليها بصورة، أو بأخرى.

وتعد مسرحية توفيق الحكيم (الملك أوديب) من المسرحيات التي تأثرت بصورة مباشرة بتلك الأسطورة الإغريقية، وإلى جانب ذلك ظهرت على الساحة الأدبية مسرحية أخرى للأديب علي أحمد باكثير بعنوان (مأساة أوديب)، ومن ثم توالت الأعمال المسرحية مثل مسرحية (كوميديا أوديب) التي ظهرت عام ١٩٧٠م لعلّي سالم، والتي كتبها باللهجة المصرية، وكانت ذات اتجاه مختلف تماما عما سبقها، وفي عام ١٩٧٧م ظهرت مسرحية (عودة الغائب) لفوزي فهمي التي تتحدث عن مأساة أوديب لكن بصورة معاصرة رمز من خلالها إلى واقع مجتمعه الذي يعيشه.

وهكذا نرى أن أسطورة أوديب حظيت باهتمام الكُتّاب والأدباء في الغرب والشرق، تحيا في ذاكرتهم، وتستثير موهبتهم مما دفع بالكثير منهم لترجمتها بينما البعض منهم حاول استلهمها في كتاباته، وإخضاعها للثقافة والعقيدة والإيديولوجيا التي يؤمنون بها، أو التي تتناسب مع بيئاتهم، مما ضمن لها الاستمرارية والبقاء ضمن الأعمال الخالدة إلى يومنا هذا.

المبحث الثاني

ملخص أسطورة أوديب في أصلها الإغريقي عند سوفوكليس.

كان سوفوكليس واحداً من أهم ثلاثة من التراجيدين الإغريق - الآخران هما أسكيليس، ويوروبديدس. ولا يختلف النقاد في أن (الملك أوديب) هي رائعة سوفوكليس فقد أخذ القصة من أسطورة معروفة، فكثف ما فيها من خصائص مثل الشجاعة، والاعتداد بالنفس، والعدالة.

وفي مسرحية سوفوكليس يقف الإنسان مقابل القدر، ويستعمل المفارقة الدرامية باللعب على الكلام الذي يقوله أشخاص المسرحية، ويفهم منه المتفرجون أكثر مما يفهم منه الأشخاص أنفسهم نظراً إلى أن المتفرجين يعرفون القصة.^(١) فيبدأ سوفوكليس مسرحيته التي استمدتها من الأسطورة الإغريقية بمقدمة:

أهل طيبة يتضرعون إلى أوديب أن يفعل شيئاً لإزاحة مرض الطاعون عن كاهلهم، كما أزاح عنهم شبح الهولة. فيجيبهم أوديب بأنه ليس غافلاً عن كارثة المدينة وبأنه يتألم عن كل فرد من أفرادها. فنحس منذ اللحظات الأولى بكبر نفس أوديب وتلك الصلة الخفية الودودة بينه وبين الشعب. ثم يدخل كريون الذي أرسله أوديب لاستشارة الآلهة، فيقول بأنها تطلب بتطهير طيبة من قتلة لايوس، ويتسلم أوديب زمام التحقيق... ذلك التحقيق الذي لا يفتأ يزيد التوتر لحظة بعد لحظة إلى انفجار الخاتمة المؤلمة، وفي أثناءه تتوالى الأحداث بشكل تصاعدي تشتد فيها الأزمة بحيث تسمح باسترداد الأنفاس.

فيظهر أوديب يتوعد القاتل بقوله: "أيا كان الجاني، فإنني أمنع الجميع في هذا البلد الذي فيه العرش والسلطان، من أن يستقبلوه، أو يتكلموا معه، أو أن يعطوه

(١) انظر: زياد الحكيم. مقال الملك أوديب ورحلة البحث عن الذات.

أية نقطة من ماء الشعائر الدينية، وأريد الجميع أن ينبذوه خارج بيوتهم بوصفه نجاسة في بلدنا^(١)، فكأنه يحكم على نفسه بنفسه ويسلم زمام أمره للقدر. ثم يدخل العراف ترسياس الذي أرسل أوديب في طلبه فيعلن: "وأسفاه! وأسفاه! إنه لأمر فظيع أن يعلم الإنسان أنه لا يفيد العلم شيئاً يملكه! إنني لم أجهاده، لكنني نسيتيه ولولا هذا لما جئت"^(٢)، ثم يقول: "ستأتي المصائب وحدها من تلقاء نفسها: ولا يهم أن أصمت وأسعى لإخفائها"^(٣). فيثور أوديب وينذر عليه يعرف شيئاً، وينجح في فك لسانه فيقول: إن "أوديب هو المجرم الذي نجس هذا البلد"^(٤)، وعندئذ يتهمة أوديب بالتآمر مع كريون ضده. وبعد ذلك تصور لنا المسرحية عملية المواجهة التي تدور بين كريون، وأوديب حيث يدور بينهما حوار طويل لا تغني فيه فصاحة كريون شيئاً أمام اتهامات أوديب له بتدبيره المؤامرة ضده، وتدخل جوكاستا وتأمرها بالسكوت إلى أن ينفث الغضب، وتسأل جوكاستا عن سبب الخلاف فيخبرها أوديب بأنه متهم بقتل لايوس. وتريد هذه أن تقلل من شأن النبوة فتقول له: إن هذه الآلهة قد تنبأت لايوس بأنه سيموت على يد ابنه وهامم اللصوص يقتلونه. ويدب الشك في قلب أوديب فهل هناك نبوءة أخرى تشبه النبوءة التي وجهت إليه؟ وهل كان لايوس سيموت بيد ابنه؟ ومن هو هذا الابن؟ فيقول أوديب: "آه من سماعي لما تقولين أشعر فجاعة، أيتها المرأة، بأن روعي تتوه، وعقلي يترنح"^(٥)، وبعد إيماءات متعددة

(١) سوفوكليس، أوديب ملكا، تراجيديات سوفقليس، تر: عبد الرحمن بدوي، (بيروت: المؤسسة

العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦م) ص ٩٩.

(٢) السابق ص ١٠٨.

(٣) السابق، ص ١٠٩.

(٤) السابق، ص ١١٠.

(٥) السابق، ص ١٢٢.

تقول جوكاستا: "أنا أيضاً خائفة، لكن قل لي ماذا تريد أن تعرف؟ أجبك عنه"^(١) ، فيبدأ بطرح عدد من الأسئلة حول (لايوس) ورحلته التي قُتل فيها، ليتوصل بالنهاية إلى أن هناك أحد الحراس الذين صحبوا الملك في رحلته لازال حياً، فيطلب منهم استدعائه بأسرع ما يمكن، مع إصرار جوكاستا على معرفة ما يخشاه يبدأ بسرد حكاية خروجه من كورنثة وقتله لأمير يركب عربته عند مفترق طرق، ليدب الشك في أن يكون هو القاتل ولا مفر من معرفة الحقيقة إلا بوجود ذلك الحارس.^(٢)

في أثناء ذلك يصل رسول من كورنثة يحمل خبر موت بوليبي، وانتخاب أوديب ملكاً مكانه. ويتنفس أوديب الصعداء: ها هو والده يموت بعيداً عنه، وبدون أن يضطر إلى قتله. ولم يدم ذلك طويلاً. وتتكشف قصة الراعي، فتقول جوكاستا، وقد بدأت تستشعر الهول: "عن يريد أن يتكلم؟ لا تفكر في هذا بعد الآن. انس هذه المواضيع التي لا تؤدي إلى شيء". وتخرج بعد أن تتضح لها المأساة، ولكن ليس بعد بالنسبة إلى أوديب. ثم يدخل الرسول مع راعي لايوس الذي سلمه أوديب ويعترف بعد طول تمنع.

ثم ترتفع وتيرة التوتر لتصل إلى الذروة، وتبلغ روعة الفن الدرامي إلى أسمى ما يمكن، ويحصل الانفجار الكبير، ويصاب المشاهد بمثل ما يصاب به أوديب. ويخرج رسول من القصر ينبئ بالأهوال الجارية في الداخل، ويخبرنا بموت جوكاستا، فيأخذ أخيراً دبوساً ويوجهه إلى أجفانه ويضرب ويصرخ: أن عيونه لن ترى بؤسه بعد الآن، ولا جريمته.^(٣)

(١) السابق، ص ١٢٣.

(٢) السابق، ص ١٢٦، ١٢٣.

(٣) السابق، ص ١٣٩، ١٤٠.

ولا تخلو حياة أوديب من المشاكل، ولا هو بعاجز أبدًا عن مواجهتها، فكلما برز مشكل تصدى له، وتصرف إزاءه، ومع كل تصرف تزداد حياته عقدًا. ولا بد من عبقرية كعبقرية سوفوكليس لتجعل من هذا التسلسل للمواقف غير المحتملة أمرًا عصيًا على النقد. ولكن ما هو الدور الذي أدته المواقف في تصوير عبقرية سوفوكليس؟ إذا كانت "أوديب" إحدى المسرحيات الخالدة فإن ذلك راجع إلى حد بعيد إلى كثرة ما يتوجب على أوديب أن يقوم به. فهو لا بد له من أن ينقذ البلد الذي يحكمه من البلاء الذي يعانيه، وهو لا بد له من أن يتحدى أكبر سلطة يمكن أن يستعان بها ضده - صوت الآلهة - وأن يغضب أشد ممثليها قدسية وهو ترسياس، وهو لا بد له من الشروع في تحقيق قد يؤدي إلى هلاكه، ولا بد له من التأهب لتلقي الضربة التي قد تنزل به، ولا بد له من شحذ كبريائه كي لا يعتقد أن الضربة ستنزل، ولا بد له في الوقت نفسه من تحمل، وخشية الاعتماد يائسًا على هذه الزوجة التي قد تكون أمه، وهو لا بد له أخيرًا من أن يقف محطّمًا عندما تنكشف الحقيقة المرة ومن فقى عينيه مكفّرًا وقبول انتحار جوكاستا وهجرة أولاده، والاستسلام لقدره الذي حاول الفرار منه دون جدوى، معترفًا بهيمنة الآلهة على قدره، وأن الكلمة الأخيرة لها بقوله: "إن الإله قد أعلن حكمه وهو: للقائل، والكافر الذي هو أن العقاب هو الموت"^(١).

(١) السابق، ص ١٤٤

المبحث الثالث

ملخص مسرحية أوديب في الأدب العربي عند توفيق الحكيم.

كان لتوفيق الحكيم لونان من المسرحيات، لون يجري على الطريقة المألوفة من اختيار شخصيات، وأحداث، ومواقف تصور جانباً من حياة المجتمع، ولون آخر يعد الحكيم أول من أسس له يُسمى (بالمسرحيات الذهنية)، ويمتاز هذا اللون بغلبة التفكير الذهني المجرد، وخضوعه لمقتضيات فكرة ذهنية يريد إبرازها عن طريق الحوار دون اعتبار لمقتضيات التمثيل، وقدرات المسرح.

ولغة تلك المسرحيات لغة أدبية لها كل خصائص النص الأدبي، وبعبارة أخرى هي لغة موحية تحتوي طاقة عاطفية خصبية، بحيث يشترك النص، والممثل، والحدث في عرض التجربة على خشبة المسرح عرضاً ناجحاً.

وما من شك في أن المسرح الذهني لتوفيق الحكيم ممتاز في اختيار القضايا الذهنية التي يعالجها، كما أنه ممتاز بالمهارة والدقة في إدارة الحوار الذي يعرض هذه الأفكار، غير أن هناك مأخذاً على هذه المسرحيات ذلك أن شخصياتها في أكثر حالاتها شخصيات يغلب عليها الطابع الأسطوري، وهي لذلك بعيدة بعداً كبيراً عن واقع الحياة المعاش، وقد اعترف توفيق الحكيم نفسه بأنه قد جعل " الممثلين أفكاراً تتحرك في المطلق من المعاني مرتدية أثواب الرموز"^(١)، وغلبة الجو الأسطوري على شخصيات هذه المسرحيات قد أضعف الشكل الدرامي لها.

فإذا نظرنا إلى مسرحية (أوديب) لدى توفيق الحكيم نجد أنه في مقدمتها حاول أن يكشف سبب احتفائه بهذه الأسطورة: " أليس من الممكن أن نعرض على (المسرح المادي) أمام النظارة، تراجيديا إغريقية متدثرة في غلالة من (العقلية

(١) توفيق الحكيم، بجماليون، ط١ (مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م)، ص ٧.

العربية)، يبدو فيها الصراع بين الإنسان والقوى العليا الخفية، ودون أن يتجرد الفكر فيها إلى حد يلحقها بالنوع الذهني من المسرحيات؟

وللإجابة على هذا السؤال عكفت وقتاً، ليس بالقصير، على دراسة (سوفوكل) وانتهيتُ إلى انتخاب (أوديب) موضوعاً لاختباري لماذا اخترت (أوديباً) بالذات؟ لأمر قد يبدو عجبياً؛ ذلك أنني قد تأملتُها طويلاً، فأبصرت فيها شيئاً لم يخطر على بال (سوفوكل)؛ أبصرت فيها صراعاً ليس بين الإنسان والقدر، كما رأى الإغريق، ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا، بل أبصرت عين الصراع الخفي الذي قام في مسرحية (أهل الكهف).^(١)

فكان ذاك كلام الحكيم في مقدمة مسرحية أوديب، كما أن توفيق الحكيم كان حريصاً على أن يقوم عمله على أمرين هما:

١- تخليص المسرحية من العناصر الأسطورية القديمة التي تربط أحداثها بالعقيدة الوثنية لليونان القدماء.

٢- إبراز الصراع بين الحقيقة، والواقع".^(٢)

وسنكتشف ذلك أثناء عرضنا لملخص المسرحية: فنرى توفيق الحكيم يجعل من أوديب هو الذي يحاول الحصول على الإجابة بنفسه، فيبدأ مسرحيته بالبطل أوديب وهو متكئ على أحد الأعمدة يفكر في أحوال طيبة، ثم تدخل عليه زوجته، وأولادها، فتسأل ابنته الكبرى (انتيجون) عن سبب شرود والدها مطلقاً بصره إلى المدينة، فتطلب منها والدتها الذهاب ومحاولة أن تخفف عن والدها، ومعرفة ما به لعلمها

(١) انظر: توفيق الحكيم، الملك أوديب، ص ٤١، ٤٢.

(٢) انظر: إبراهيم عبد الرحمن محمد، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، ص ٣٢٧، ٣٣٠.

بأنها هي الوحيدة التي تستطيع أن تسري عن والدها؛ لأنها تحتل مكانة خاصة في قلبه فهكذا مهد توفيق الحكيم لسبب اصطحاب أوديب لأنتيجون في نهاية المسرحية.

ثم تتكشف لنا الأحداث التي تدور حولها المسرحية والتي تتمثل في:

تولي أوديب كرسي العرش لمدينة طيبة، بعد القضاء على (الوحش)، ويتزوج من الملكة، وينتشر مرض الطاعون في المدينة، فيستدعي الملك أوديب الكاهن (ترسياس) ليطلعه على الغيب فظهر لنا بأن أزمة أوديب هو ما حل بطيبة، ولكن زوجته تكشف لنا من خلال غريزتها الأنثوية أن هناك علة أخرى تشغل أوديب، ومن هنا يمهد الحكيم إلى أحداث ستحصل فيما بعد تكشف السبب الذي يسبب لأوديب الأرق الذي كأنه شر يتربص به.

ثم تظهر لنا محاولة جو كاستا في إبعاد هذه الفكرة عن أوديب من خلال دفع أبناءها لطلب من أبيهم أن يقص عليهم قصة الوحش الذي انتصر عليه بذكائه فيرضخ لطلبهم، ويحكي لهم القصة منذ أن كان في كورنثة إلى أن واجه الوحش، وحل اللغز، ودخل طيبة ليصبح ملكاً لها، وزوجاً لملكها الأرملة.

ثم تحكي (جوكاستا) لأولادها عن حال طيبة قبل انتصار والدهم على الوحش، وتحدثت عن زوجها السابق الذي مات، وهي في زهرة شبابها تعيش برودة القصر، وأن أخاها (كريون) كان الوصي على العرش بعد وفاة زوجها، وكيف أنه أعلن للملأ بأن الذي يستطيع حل اللغز، والانتصار على الوحش سيكون ملكاً لطيبة، وزوجاً لملكها.

ثم يوضح توفيق الحكيم بأن انتصار أوديب على الوحش، وزواجه من جوكاستا أنساه ما خرج من كورنثة لأجله، فهنا يؤكد الحكيم على مشكلة الحقيقة، والواقع، فالواقع أنسى أوديب الحقيقة، وأقعدته عنها.

فيقول أوديب: "تعم هذه السعادة التي غمرتني وأنستني ما كنت خرجت له، وما كنت أبحث عنه".^(١)

وتنصحه زوجته بعدم البحث في الماضي بقولها:

"حقيقتك؟ فماذا يهمنا من أمر هذه الحقيقة ما دمنا سعداء قلت لك كثيراً: إياك أن تظن أني كنت أوثرك من سلالة الملوك.. أنه لفخر لي ولأطفالنا إلا أن تكون من صفوة الأبطال"^(٢).

فتظهر لنا المفارقة عميقة فجوكاستا التي تريد السعادة كاملة نجدها تقص حكاية تدمر هذه السعادة فتبدأ تقص حكاية ولدها من لا يوس الذي تم نبذه بسبب وحي من الإله بأنه سيكون شؤم عليهما فسلمه والده لمن يقتله ثم تصل إليهم أصوات الشعب الذي أنهكه البلاء من كل مكان.

فهنا نجد أن توفيق الحكيم يؤخر هذا المشهد الذي أفتتح به سوفوكليس مسرحيته، فينقل لنا الحكيم صورة موجزة عما حدث في طيبة، واستخدم نفس المعاني التي استخدمها سوفوكليس وكيف أن الكهان يطالب أوديب بإنقاذ المدينة من هذا البلاء كما أنقذهم من الوحش أبو الهول بحله للغز؟

ثم يحضر ترسياس بناءً على طلب أوديب فتصرف عائلته الذي يطلب منه العون في هذه المحنة فيعرض عنه فيثور أوديب في وجهه مثلما فعل في مسرحية سوفوكليس، فيطلعنا توفيق الحكيم على المؤامرة التي دبرها ترسياس واشترك فيها أوديب نفسه.

(١) توفيق الحكيم، مسرحية الملك أوديب، ص ٦٣.

(٢) السابق نفسه

والمؤامرة هي أكذوبة الوحش الذي لم يكن له وجود في الواقع، فأبو الهول الذي كان له جسم أسد، ووجه امرأة يطرح ألغازاً لم يكن سوى أسد عادي يفترس الخارجين من خلف أسوار المدينة، وهذه الكذبة هي من صنع ترسياس ليجعل أوديب ملكاً، كما أنه هو من أوحى للايوس بأنه سيأتيه ابن يقتله، ويتزوج والدته، وألهمه بأن يقتل ابنه، وذلك من أجل القضاء على الوريث الشرعي للعرش، فيكون العرش من نصيب غريب يستطيع التحكم به.

فيحاول ترسياس أن يخيف أوديب من كشف الحقيقة للناس فيخسر بذلك ملكه، فيرد عليه أوديب بأن الملك ليس بغيته، وأنه خرج من كورنته هرباً من ذلك الملك لأجل البحث عن حقيقته فلم يستطيع العيش في أكذوبة.

فيعود كريون من المعبد بصحبة كبير الكهنة الذي يطلب من أوديب أن يستمع إليه في خلوة، فيرفض، ويطلب منه الكلام أمام الشعب كما فعل في مسرحية سوفوكليس، فيرضخ لطلبه فيخبره بأن هذا البلاء بسبب إثم يدنس طيبة، فلا بد من البحث عن قاتل لايوس فيعد أوديب بالبحث. ويبدأ بالبحث بشكل تحقيق مع كريون الذي كان لديه علم بالقاتل، وكذلك الكاهن فيدور بينهم حوار طويل تنكشف في نهاية حقيقة القاتل، وذلك بعد ضغط أوديب على الكاهن ليخبره بهوية القاتل، وعندما يخبره يفرع أوديب، ويتهمة بالتواطؤ مع كريون للقضاء عليه لينال العرش، والحكم.

ف نجد الشعب يقف مع أوديب في بداية الأمر حيث تقول الجوقة:

"الويل لكل من يمس شعرة منك أيها الملك!!! نحن لن ننسى أبداً أنك البطل الذي أنقذنا من أبي الهول! أضرب أعداءك يا أوديب بلا رحمة ونحن معك"^(١)

(١) توفيق الحكيم، مسرحية الملك أوديب، ص ١٠٠.

إلا أن كريون يخبرهم بأن الملك مات مقتولاً على يد أوديب، فتتدخل جو كاستا لحل هذا النزاع؛ لتوضح بأن الخطأ في فهم مرمى الوحي لا الوحي نفسه، مستدله بذلك بنبوءة لايوس بأنه سيموت مقتولاً على يد ابنه وأن تلك النبوءة لم تتحقق بسبب هلاك الابن، وأن لايوس قُتل على مفرق ثلاث طرق.

عندها تنبه (أوديب) لمفترق الطرق، وتذكر الرجل الذي قتله، فيلج أوديب على طلب المزيد من المعرفة، أين قُتل؟ وكيف كان مظهره؟، فتكتمل الصورة في ذهنه وتتضح الصورة أمامه إلا أنه كان يأمل بأن ما توصل إليه من حقائق أن تنقض باستدعائه للراعي الذي بقي حياً بعد مقتل لايوس فلتتكشف الحقيقة على يديه، ويعرف أوديب حقيقته المرة فلا يهرب منها إنما يعطي كل ذي حق حقه.

فيأتي رسول من كورنثة ليخبره بوفاة والده فينكشف له سرّاً آخر، وهو أنه ابن لزوجته لجوكاستا، ولايوس الذي قتله.

ثم يظهر لنا أوديب خائفاً على جوكاستا التي تلقت الصدمة، ولم تستطع تحملها فأغمي عليها، وعند صحتها يعبر لها أوديب عن حرصه التام على حياتها، إلا أنها تطلب الموت هرباً من هذه الحقيقة، فنجد أن أوديب بعد كشفه للحقيقة كان حريصاً على الواقع متشبث به على عكسها تماماً فيطالبها بالبقاء، ومواجهة الواقع فتقول:

" أي واقع نستطيع أن نواجه بعد اليوم؟

فيجيب أوديب: كياننا واحد.. أسرتنا متحدة.. قلوبنا المتحابّة.. نفوسنا التي تعمرها المودة، وتدعمها الرحمة! مَنْ في مقدوره أن يهدم كل هذا البنيان؟ أي قوة في إمكانها أن تدك هذا البرج المشيد من حب وعطف، وحنان!"^(١)

(١) توفيق الحكيم، مسرحية الملك أوديب، ص ١٣٦.

فيطلب منها أن تنهض، وتواجه الحياة قائلاً: "ثقي أنه مادامت لنا قلوب فنحن صالحون للبقاء!!" (١)

فترد جوكاستا: "لم نعد نصلح للبقاء معاً". (٢)

فنراه يصارع هذه الحقيقة فيقول: "الحقيقة؟ ما هي قوة هذه الحقيقة؟ لو أنها كانت أسداً ضارياً حاد المخلب، والناب؛ لقتلته، وألقيت به بعيداً عن طريقنا.. ولكنها شيء لا يوجد إلا في أذهاننا.. أنها وهم! أنها شبح.. إن ضربتي لا تنفذ في أحشائها.. ويدي لا تنال من كيائها.. وحش مجنح حقاً! رابض في الهواء.. لا نصل إليه بسلاحنا ويقتل سعادتنا بالغازه!". (٣)

بعد ذلك يطلب من أولادها الالتفاف حولها، ويخرج فتوصي جوكاستا ابنتها أنتيجون بأبيها.

في أثناء ذلك يخرج أوديب للكاهن الذي يطلب منه تنفيذ العقاب الذي وعد في قاتل لايوس وهو إما الموت أم النفي، فيعلن أوديب جبنه عن مواجهة الموت بسبب حبه لأسرته فيفضل النفي، ثم بعد ذلك يخبره الخادم بموت جوكاستا فيتزعزع أوديب مشابك ثوب جوكاستا الذهبية ليفقأ بها عينيه قائلاً: "لن أبكيك إلا بدموع من دم". (٤)

فيهم بالخروج من المدينة إلا أن أنتيجون تطلب منه أن يصطحبها لتكون عينيه التي يبصر بها الطريق لكنه يرفض في البداية، ومع إصرارها يخضع لها، ولرغبتها.

(١) السابق، ص ١٣٩.

(٢) السابق نفسه.

(٣) السابق، ص ١٤٠.

(٤) توفيق الحكيم، مسرحية الملك أوديب، ص ١٦١.

فتنتهي مسرحية الحكيم الذي لا يؤمن كمسلم بتدبير سابق من الإله، وهو
لذلك ينفي تماماً النبوءة التي أوصى بها الإله أبوللو الذي حضر في مسرحية
سوفوكليس من ذلك الولد الذي سينجبه لايوس من صلبه.

المبحث الرابع

أوجه التشابه والاختلاف بين أوديب سوفوكليس، وتوفيق الحكيم.

ب. أوجه التشابه.

على الرغم من وجود اختلاف بين أوديب سوفوكليس، وأوديب الحكيم إلا أننا نلاحظ بعض نقاط التشابه متمثلة في:

١- الحفاظ على وجود فكرة الصراع المتمثلة في الأصل الإغريقي بين الآلهة، وأوديب، وفي مسرحية أوديب بين (ترسياس) وأوديب.

٢- تتفق المسرحيتان في الأحداث الرئيسية، والخطوط العريضة.

٣- الاتفاق في النهاية المأساوية التراجيدية المتمثلة بهزيمة أوديب أمام شعبه، وأبنائه لتكسر بذلك صورته البطولية التي حاول المحافظة عليها أمامهم.

٤- لم يستطع الحكيم تخليص المسرحية من عناصرها الأسطورية رغم محاولته في أن ينسب تدبير الوحي الإلهي إلى (ترسياس) بوصفه المدبر الحقيقي لفكرة هذا الوحي، ولم يقدر له أن يدلل على ثبوت العدالة للإله، لأنه ترك المدبر الأصلي لهذه المآسي التي حلت برجل مظلوم، دون عقاب؛ على الرغم من اعترافه بجريمته، وكان من الممكن أن يوقع به نوعاً من العقاب. فضلاً على أن الأحداث التي ترتبت على هذا الوحي قد وقعت، وتتابع في شكل أسطوري، هو نفسه الشكل الأسطوري الذي يحكم مسرحية سوفوكليس.

ونختم قولنا في هذا البحث بما ذكره مسيو مارينياك في ختام مقدمته للطبعة الفرنسية من هذه المسرحية حيث قال: "فهل تُرى نجح (توفيق الحكيم) في إقامة الدليل على أن خرافة (أوديب) يمكن تحويلها إلى مقاصد غير التي كانت ماثلة قيد نظر (سوفوكليس) حين كتب مأساته؟

إن القارئ والمتفرج -فيما أرجو - قد يقضي بما يخالف رأبي، فأنا من ناحيتي أرى أن (أوديب) هذا الذي ولد على ضفاف النيل كأمثاله المولودين في فرنسا، لا يسلم من تناقض، ذلك أن الخرافة هنا أقوى من المؤلف الذي يستخدمها. فلا غرو إذا كان (توفيق الحكيم) وقد توخى استخدام الموضوع القديم؛ للتعبير عن أفكار نفسانية وسياسية ولم يستطع -شأنه في ذلك شأن فولتير وشأن جيد- أن يمنع مسألة القدر المحتوم، من معاودة الظهور في أكثر من موضع. فلقد بلغ من قوة هذه الخرافة أنها لا تدع لمن أراد استخدامها إلا النزر القليل من حرية التصرف. وهذا جانب الحربة قد استخدمه المؤلف المصري، جهد ما في المستطاع استخدامه، وعلى نحو يطرب له كل من تشغله هذه المسألة، التي عرضت (لروما) المثقفة باليونانية، كما تناولتها من بعدها أوروبا الناهضة، وما زالت حتى اليوم ماثلة تشغل الأذهان، وهي مشكلة من أعظم المشاكل، وأصعبها مشكلة محاكاة القديم".^(١)

أوجه الاختلاف:

١- الصراع في المسرحيتين:

بالنظر إلى مسرحية سوفوكليس نجد الصراع بين طرفي (الإنسان، والقدر)، وتحدي الإنسان للآلهة لتغيير واقعه، ولا شك أن سوفوكليس جعل من الصراع وسيلة رمزية إلى إيمان عقلي مفاده أن الكون يسير طبقاً لنظام خاص، والإنسان نفسه جزء من هذا النظام، والآلهة هي المتحكمة فيه. وإيمان الشاعر بهذه الفكرة مستمد من إيمان الإغريق بها، ومحاولة الإنسان للخروج من هذا النظام نتيجته محسومة بالفشل الذريع.

(١) توفيق الحكيم، الملك أوديب، ص ١٧٧، ١٧٨.

بينما نجد توفيق الحكيم يولّد صراعاً جديداً مختلفاً عن الأصل الإغريقي؛ حيث يكون هذا الصراع قائماً على مستويين: أحدهما صراع بين الواقع، والحقيقة.

الواقع المتمثل في قتله للرجل، والحقيقة في كونه والده، والواقع زواجه من الملكة، والحقيقة أنها أمه، والواقع في كونه أب لأولاد يظهر في الحقيقة أنهم إخوته، وهنا يظهر لنا الاختلاف الجذري بين المسرحيتين، والآخر صراع داخل أوديب ذاته متمثلاً في رغبته لمعرفة الحقيقة التي ينبغي ألا يعرفها.

وإذا نظرنا إلى حقيقة الصراع في المسرحيتين نجد أن مأساة أوديب عند سوفوكليس تتمثل في الآلهة المتحكمة في قدر البطل، بينما عند توفيق الحكيم تتمثل المأساة في الصراع بين القلب، والعقل في الذات الإنسانية، فأوديب في الأصل الإغريقي (إنسان مُسيّر) نحو القدر الذي رسمته له الآلهة على الرغم من محاولاته، وجهاده المستميت للتخلص من المصير المحتوم، وهو جهاد يتسم بالشجاعة، وقوة الإرادة، أما أوديب الحكيم (فإنسان مُخيّر) يبحث بذاته عن الحقيقة، لكنه يواجه معاناة كبيرة تتمثل في صراعه بين الحقيقة والواقع الذي يكتشفه، ويعجز عن تقبله فيجد نفسه مضطراً لذلك، فيتكشف لنا الاختلاف بين أوديب سوفوكليس وأوديب الحكيم؛ من خلال طبيعة الصراع التراجيدي.

٢- فكرة النبوءة:

نلاحظ أن مسرحية سوفوكليس قائمة على فكرة النبوءة التي جاء بها (أبوللو) والتي تقوم على تدبير الآلهة لمصير أوديب، بينما نجد أن الحكيم يرفض هذه النبوءة، ويرفض أن تكون الآلهة هي المدبر لها، فنراه ينسب ذلك إلى (ترسياس) الذي دبر أمر هذه المكيدة بدءاً من مكيدته للملك (لايوس)، وانتهاءً بتربصه

لأوديب لجعله يقع في الخطأ. (١)

وبهذا يكون توفيق الحكيم غير في النبوءة لجعلها أكذوبة من نسج (ترسياس) الطامع بالعرش وذلك لأن الدين الإسلامي، والعقل العربي لا يقبل هذه الأمور، ولذلك جعل الشر نابع من البشر، وليس من الآلهة، نافياً بذلك فكرة الصراع بين الإنسان، والقدر.

٣- الحبكة الحكائية بين الأسطورة، والمسرحية:

لاحظنا أن مسرحية (سوفوكليس) ابتدأت من النهاية، فقد ابتدأها بذلك المنظر الذي جلس فيه (أوديب) ملك طيبة يحقق في مقتل الملك السابق (لايوس) ومن هذه النهاية أخذ أوديب عن طريق التحقيق يعرض علينا ماضيه عرضاً لم يقصد إليه، وإنما ساقته إلى إبرازه، والكشف عنه طبيعة البناء الفني للمسرحية، بينما توفيق الحكيم لم يرتب الأحداث بشكل متدرج، فلا يظهر لنا ترتيب الأحداث، وتطورها وصولاً للعقدة، والانتهاه بالحل، إنما يظهر أن البطل أوديب هو من يقوم بالتحقيق في الأمر، للتوصل إلى قاتل لايوس، وتطهير طيبة من الوباء الذي حل بها، فيبدأ بربط الأحداث بعضها ببعض إلى أن يصل للنهاية المأساوية المتمثلة في كونه قاتل والده، والمتسبب الوحيد بهذا البلاء الذي حلّ على البلاد.

وبالنظر إلى خاتمة الحكاية نجد أن كلتا المسرحيتين اتفقتا في كون أوديب يأخذ دبوساً ويفقأ عيناه، لكن هذه النهاية تختلف من حيث المغزى، والهدف إذ أن مغزى أسطورة سوفوكليس أخلاقي، فالمجتمع الأثيني القديم كان يؤمن بقيم خلقيّة معينة مما ألزم سوفوكليس بالحفاظ على هذه القيم وهذا ما يفسر لنا النهاية التي وضعها

(١) انظر: محمد مندور، مسرح توفيق الحكيم، ص ٧٨.

سوفوكليس لأوديب وجوكاستا والمتمثلة في معاقبتهم لأنفسهم، فكلاهما قتل نفسه ليظهرها من الآثام.

أما الحكيم ففي نهاية مسرحيته أحدث تغييراً كبيراً، فخصص لها الفصل الثالث وهو بدلاً من أن يحتفظ للمأساة بحرارتها ودفئها كما فعل سوفوكليس فقد ميع الحكيم النهاية بحواره الطويل الذي أنطقه لجوكاستا، وأوديب من أجل إثبات الصراع بين الحقيقة، والواقع الذي بنى عليه مسرحيته.

الواقع الذي يكشف أن أوديب اتخذ من أمه زوجة، وحببية له، فيدعوها إلى الاستمرار في رفض الحقيقة بوضع الأصابع على الآذان، وعدم الإذعان إلا لسلطان الحب وحده.

بالنظر للشخصيات نجد أن الحكيم أدخل عليها بعض التغييرات:

أ. شخصية أوديب البطل عند الحكيم يظهر فيها شيء من التناقض، والتشويه الذي أضعف شخصيته، فالتناقض ناتج من أن أوديب خرج من كورنثه رفضاً للعيش في أكذوبة، ولكنه بمحض إرادته يدخل في أكذوبة أخرى نسجها ترسياس، وهي أكبر وأعظم من الأولى، وإضافة إلى ذلك في آخر المسرحية نجده يرفض الحقيقة ويأبى إلا أن يعيش في أكذوبة الواقع ويحاول إقناع جوكاستا على ذلك.^(١)

كما يظهر التناقض على شخصية أوديب أيضاً من خلال التحقيق في مقتل لايوس فهو يظهر بمظهر المتحمس لمعرفة حقيقة الأمر، واكتشاف القاتل، ولا يقبل الاستماع لنصائح ترسياس الذي أخذ يحذره من العبث بقناع الحقيقة، حتى إذا تم ما أراد، وعرف أنه هو القاتل تراجع، وأخذ يحاول التماس الأعذار لنفسه، ملقياً كل اللوم على كاهل ترسياس، وكنا نتوقع منه، وهو الذي تحمس لمعرفة حقيقة الأمر أن

(١) محمد مندور، مسرح توفيق الحكيم، ص ٩١، ٩٢.

يتقبل الحقيقة بشجاعة على نحو ما فعل أوديب سوفوكليس، وقد بلغت الدناءة والخسة بهذه الشخصية في مسرحية الحكيم أقصى درجاتها، فراح يحاول الاستمرار في علاقته الزوجية بأمه، وكأنه لم يكن يحس بفداحة الجرم الذي ارتكبه.^(١) فيقول الدكتور أحمد شمس الدين الحجاجي عن شخصية أوديب المتناقضة: "لقد أفلتت هذه الشخصية من يد الحكيم، فلم يستطع أن يزيل التناقض الذي أوقعها فيه، وهذا التناقض أبعد الشخصية عن أن تكون شخصية تراجمية، واختلط أمرها دون أن يكون لديها وضوح يذكر".^(٢)

أما بالنسبة للتشويه في مسرحية توفيق الحكيم، يظهر في جعله من أوديب مزيفاً وحليفاً لمتآمر مثل ترسياس، مزيف لأنه غير من وصفه لحقيقة الوحش الذي صادفه فجعل منه وحشاً أسطورياً، بينما هو حيوان عادي، فتآمر مع ترسياس لإشاعة البطولات حوله، وبذلك يكون الحكيم قضى على ما جاء في الأسطورة من حقيقة أبو الهول.

ب. شخصية جوكاستا نجدها عند الحكيم هي الشخصية الضدية الستارية التي تبرز شخصية أوديب وتوضحها، فجوكاستا لم تكن تحب لايوس زوجها السابق الذي مات مقتولاً تاركاً إياها في عنفوان الشباب في قصر بلا زوج، ولقد كشفت عن مشاعرها تجاه الذي سيعتلي العرش ويتزوجها بعد حله للغز، وتساءلت كما ذكرت سابقاً هل ستحبه؟ فلم يكن همها من الفائز بالعرش؟ إنما من هو الفائز بالقلب؟ قلب المرأة لا الملكة. ومن كل ذلك يتضح لنا أن سبباً قوياً ربط بين قلبي جوكاستا وأوديب لمدة سبع عشرة سنة، ذلك الحب الذي دفع أوديب إلى رفض

(١) انظر: إبراهيم عبد الرحمن محمد، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، ص ٣٣٤.

(٢) انظر: مصطفى عبد الله، أسطورة أوديب في المسرح المعاصر، ص ٩٢، ٩٣.

الحقيقة في نهاية المسرحية رفضاً تاماً رغم معرفته بأنها أمه فلقد كان الحب أقوى من كل شيء.

ت. أما ترسياس فهي الشخصية التي غير الحكيم كثيراً في تصوير ملامحها، لتبدو مغايرة للأسطورة ولشخصية ترسياس عند سوفوكليس، ولعل ذلك مرجعه الأساسي رغبة الحكيم في إلغاء فكرة النبوة الصادرة عن الآلهة والتي تتعارض مع الفكر الإسلامي والعربي. فيظهر لنا ترسياس من نوع جديد كاذباً، محتالاً، وقد كذب على لايوس حين أوحى إليه بفكرة قتل ابنه ليقتضي على حكمه فيؤول العرش لرجل غريب، كما أن الحكيم تركه دن عقاب على الرغم من جريمته البشعة.

ث. أما شخصية كريون فتظهر في بداية مسرحية الحكيم على أنه شخصية شريرة متآمرة، ثم تكشف حقيقته الجوهرية مما يدفعنا للتعاطف معه، كما أن كريون هنا هو عين كريون عند سوفوكليس، فقد منح كريون العرش لمن استطاع التغلب على الوحش، فحرصه من البداية على مصلحة طيبة الذي أرسله الشعب للمعبد، وليس أوديب كما فعل سوفوكليس، وعاد كريون بما سمعه هناك كاملاً، فأعلنه فحدث الصدام بينه، وبين أوديب الذي اتهمه بالخيانة، وفي النهاية استطاع أن يثبت براءته، وطلب أوديب منه أن يعتني بأولاده، وطلب من أولاده أن يتخذوه مثلاً وقدوة.

ففرى أحمد شمس الدين يقول عن هذه الشخصية: "اختزل الحكيم الصورة التي رسمها لكريون على أنه الرجل الثاني في عبارة أوردها حين اتهمه أوديب أنه على رأس الطامعين في العرش، وأن الكهان غرروا به، وكان كريون يرد عليه بما ينبئ أنه نظراً للعلاقة التي بينهما لا يمكن أن يؤذيه ويؤذي جوكاستا فإن السلطان

كان في يده قبل أن يقدم أوديب فنزل عنه طائعا طبقاً لمنفعة الشعب وطاعته لنصيحة أهل القداسة والإلهام".^(١)

وفي الختام يمكننا القول: إن محاولة توفيق الحكيم لاستلهام أسطورة أوديب من المسرح اليوناني لها مالهها وعليها ما عليها، غير من المهم الإشارة إلى مُزية مهمة لهذا العمل، وهي تكمن في شجاعته على خوض هذه التجربة التي كسر من خلالها هيبة الاستلهام من تراث الأمم الأخرى لاسيما التراث الإغريقي، ومعالجته في الأدب العربي بعد تخليصه من المعتقدات الوثنية التي تخالف ديننا، وتطويعه للثقافة العربية، مما شجع العديد من الأدباء للاحتذاء به، فنتج عن ذلك الكثير من الأعمال الأدبية التي تضاف إلى رصيد أدبنا العربي.

(١) انظر: مصطفى عبد الله، أسطورة أوديب في المسرح المعاصر، ص ٩٣، ٩٦.

الخاتمة

في نهاية هذا العمل لا بد من التأكيد أن تلاقي الثقافات، واحتضان بعضها البعض مظهر طبيعي وصحي للثقافة الإنسانية.

فمسرحية أوديب دليل على التأثير، والتأثر بين الثقافتين الغربية، والعربية كما أن داخل هاتين الثقافتين كانت هناك على الدوام تيارات أدبية تنتقل من بلد إلى آخر على الرغم من خصوصية كل بلد إما للتأثير في الآداب الأخرى، وإما مسيطرة للركب الأدبي العالمي.

وطبيعة الموضوع تقف على تلمس مواطن الإبداع عند كل من سوفوكليس، وتوفيق الحكيم، ومواطن الاختلاف بين العاملين، فاستطعنا من خلال هذا العمل أن نتوصل إلى مجموعة من النتائج نلخصها فيما يلي:

تعد أسطورة (أوديب) أسطورة إغريقية قديمة، ذُكرت في (الأوديسة) في النشيد الحادي عشر، وذهب البعض إلى كونها فارسية الأصل.

إن أسطورة أوديب عمل متميز، أبهر الأدباء، والمثقفين الغرب، والعرب على السواء، فنهلوا من نبعها، وأبدعوا في إعادة تدويرها، فنتج عن ذلك أعمال رائعة، جعلت لها بصمة في الأدب العالمي حتى يومنا الحالي؛ والسبب في ذلك كونها احتوت على اللعنة التي تمثل عنصراً دينياً مهماً في معتقدات الإغريق، كما اشتملت على كثير من الجوانب الإنسانية بشكل عام.

على الرغم من التشابه الكبير بين عمل سوفوكليس، وتوفيق الحكيم، إلا أنه هناك فروق في بعض تفاصيل الحكاية مردها رغبة الحكيم في الاستفادة والاعتراف من النبع الإغريقي، وإخضاعه للثقافة العربية الإسلامية لرسم صورة لأوديب بمظهر عربي إسلامي.

أول مَنْ أسهم في معالجة (أسطورة أوديب) عربياً كان توفيق الحكيم، الذي عرض الأسطورة من خلال ثقافة عربية وقد أبدع في ذلك، فاستطاع إحداث تغيير في الفكرة، والصراع التراجيدي في الحكاية، إذ حول الصراع بين الإنسان، والآلهة -القدر-، والصراع بين الماضي، والحاضر الوارد في مسرحية سوفوكليس، إلى صراع بين الحقيقة، والواقع، ورفض أوديب للحقيقة تمسكاً بواقعه المتمثل بأسرته، فضلاً عن إيجاده لصراع داخل أوديب ذاته من أجل معرفة الحقيقة التي ينبغي له عدم معرفتها.

أحدث الحكيم تغييرات على الشخصيات الواردة في الحكاية، فمثلاً شخصية أوديب عند توفيق الحكيم أكثر تعقيداً، وتوتراً، وتناقضاً، إذ يظهر ذلك في مواقف كثيرة في ثانيا المسرحية، وشخصية جوكاستا المرأة التي تنتظر الذي يظفر بقلبها الذي لم يعرف الحب من قبل، وغير ملامح شخصية ترسياس من رجل الدين النبيل الصادق، إلى شخصية مأكرة، ومتسلطة، ومتحكمة.

من مواطن الإبداع في عمل توفيق الحكيم، التغيير في النبوءة التي عرفناها من الأساطير الإغريقية القديمة، ومسرحية سوفوكليس، والتي تقول: إن أوديب ابن الملك لايوس سيكبر، ويقتل أباه، ويتزوج أمه، إلى أكذوبة من صنع العراف ترسياس للقضاء على الوريث الشرعي لطيبة.

كما خالف توفيق الحكيم الأسطورة، ومسرحية سوفوكليس في حقيقة الوحش (أبا الهول) الذي واجهه أوديب، وحل اللغز وقتله له، ليجعل منه أسداً عادياً استطاع أوديب التغلب عليه، وبذلك نزع تلك الهالة الأسطورية حول أوديب، والتي تجعل منه بطلاً أسطورياً.

تزرع مسرحية توفيق الحكيم ببعض القيم الإنسانية كقيمة الأسرة، وحب الزوجة، والأبناء، والإخلاص، والتعاون والتكاتف الأسري، فضلاً عن قيمة التكافل الاجتماعي، ومسؤولية الحاكم تجاه شعبه، وتحقيق العدالة الإنسانية.

والله الموفق.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

- سوفوكليس، أوديب ملكاً، تراجيديات سوفقليس، تر: عبد الرحمن بدوي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦م.
- توفيق الحكيم، الملك أوديب، القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٤٩م.
- ابن منظور، لسان العرب، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ
- والفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م.
- إبراهيم عبد الرحمن محمد، الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق، بيروت، دار العودة، ١٩٨٢.
- أحمد شمس الدين الحجاجي، الأسطورة في المسرح المصري المعاصر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٤م.
- ألارديس نيكول، المسرحية العالمية، تر: عثمان نويه، ج١، القاهرة، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ١٩٧٩م.
- حسين الحاج حسن، الأسطورة عند العرب في الجاهلية، ط١، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٨م.
- طه حسين، الأدب التمثيلي، مقدمة أوديب ملكاً، بيروت، منشورات دار الكتاب اللبناني، د.ت).
- طه حسين، أوديب ثيسيوس من أبطال الأساطير اليونانية، القاهرة، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.
- عز الدين إسماعيل، قضايا الإنسان في الأدب المسرحي المعاصر، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٠م.

كولييت استييه، أسطورة أديب، ترجمة: زياد العودة، ط٢، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٢ م.

محمد زكي العشماوي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، ط١، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٤ م.

محمد مندور، مسرح توفيق الحكيم، المملكة المتحدة، مؤسسة الهنداوي، ٢٠٢٠ م.
مصطفى عبد الله، أسطورة أديب في المسرح المعاصر، ط٧، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٣.

مواقع الشبكة العنكبوتية.

زياد الحكيم، الملك أديب ورحلة البحث عن الذات. (مقال منشور في موقع الأنطولوجيا، بتاريخ ١٨ مايو ٢٠١٩ م) على الرابط التالي:
<https://alantologia.com/blogs/18037/>